ULUM HADITH
RESEARCH CENTER

Journal of Hadith Studies
Vol. 3 No. 1(2-SI) (Nov 2018)

ظاهرة التَّشدد وعلاجها في ضوء السّنة النبوية

(The Phenomenon of Extremism and its Treatment in the Light of the Prophetic Sunnah)

Samer Najeh Samarh
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Islamic Science University Malaysia

Abstract
This research aims at shedding the light on the phenomenon of extremism and its treatment in the light of the Sunnah by collecting and studying hadiths related to the subject to attain a perception of the prophetic approach in dealing with this ill, namely: prevention and treatment. The research has elucidated the concept of extremism and its relationship with other concepts related to delving deeper and exaggeration and revealed the main reasons driving the person to be extreme and practice it. Besides, the research showed the means of the Prophetic Sunnah to treat and eliminate extremism through an integrated plan based on two methods; (1) Prevention of extremism through warning against it and explaining its negative consequences to the individual and society as well, (2)Treatment of extremism if occurring by correcting the extremist's understanding through guiding him or her to the methods and means that help them continue their doings, and ending with punishing the extremists based on his or her condition and his or her impact on the community around him.

Keywords: Extremism, treatment, exaggeration, negative consequences.

Article Progress

Received: 19 Sept 2018
Revised : 20 November 2018
Accepted: 27 November 2018

* Samer Najeh Samarah
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, 718000 Nilai, Negeri Sembilan
Email: samernajeh@usim.edu.my

الملخص

تناول جاء هذا البحث ليسلَّط الضُّوء على ظاهرة التَّشدُّد وعلاجها في ضوء السُّنَّة النَّبويَّة، من خلال جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع ودراستها للخروج بتصوُّر للمنهج النَّبويِّ في التَّعامل مع هذه الآفة وقايةً وعلاجاً. وقد بيَّن البحث مفهوم التَّشدُّد وعلاقته بغيره من المفاهيم ذات الصِّلة كالتَّعمُّق، والتَّنطُّع، والغلوِّ، ثم كَشَفَ عن الأسباب الرئيسة التي تدفع الإنسان إلى التَّشدُّد وتوقعه فيه. كما أظهر البحث كذلك بيان السُّنَّة النَّبويَّة لسبل علاج التَّشدُّد والخلاص منه من خلال خطَّة متكاملة تقوم على مسلكين: (1) الوقاية من التَّشدُّد وذلك من خلال التحذير منه، وبيان عواقبه على الفرد والمجتمع. (2) علاج التَّشدُّد إذا وقع وذلك من خلال تصحيح فهم المتشدِّد، مروراً بالإرشاد إلى الطُّرق والوسائل التي تعين على الاستمرار في الأعمال، وانتهاءً بمعاقبة المتشدِّدين كلٌّ بحسب حالته وتأثيره على المجتمع من حوله.

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فالتشدُّد من الأمراض التي تفتك بالأمم والشعوب، وتقف سدّاً أمام تقدُّمها والرقيِّ في حضارتها، لذا كان اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتحذير الأمة منه، وأرشدها إلى سبل تجنبه وعلاجه لتلافي ما حلَّ بالأمم السابقة التي اتَّخذت من التَّشدُّد منهجاً في مسيرتها، ولتبقى بمنهجها الوسطيِّ نبراساً يُحتذى بها لجميع أمم الأرض. والسبب في إثارة هذا الموضوع (ظاهرة التشدد) أنَّ التشدد قد انتشر بين بعض أفراد هذه الأمة، فأصاب عقولهم وأفكارهم بخلل كبير، وأصبح موجِّهاً لسلوكياتهم وأفعالهم، مما أدى إلى انحراف في مسيرة حياتهم، وظهور كثير من التصرفات الخاطئة التي ترتكب وتبرر باسم الدين، ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث لوقف انتشار هذا المرض وحماية الأمة منه.

ولقد جاء هذا البحث ليسلِّط الضُّوء على الجوانب المختلفة للتَّشدُّد، وذلك ببيان حقيقته وارتباطه بغيره من الآفات كالتَّنطُّع والغلوِّ، ثم بالكشف عن الأسباب التي يقوم عليها، وأخيراً بيان الهدي النبويِّ في التَّعامل معه سواء كان ذلك بالوقاية أو بالعلاج. وقد تناول موضوع التَّشدد دراسات عدة أنها كانت سطحية وقاصرة لم تعطي الموضوع حقَّه باستثناء دراسة واحدة وكانت بعنوان: «الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة» للباحث عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، وهي رسالة ماجستير تناولت دراسة الغلو في الوقت المعاصر من حيث أسبابه وطبيعته ومجالاته.

منهج البحث

اتَّبعت في كتابة البحث منهج الاستقراء النَّاقص (للكتب السِّتة) وذلك بالبحث في مفاتيح الكلمات الآتية: (تشدد، تعمق، تنطَّع، غلو)، ثم اعتمدت في فهم أحاديث الموضوع على المنهج التحليلي.

منهج التخريج: اقتصرت في تخريج الأحاديث على ما يُستدلُّ من خلاله على درجة الحديث دون الاستقصاء والتطويل، تجنباً لإطالة البحث. فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اقتصرت عليه ولم أتعد إلى غيرهما، وإذا لم يكن فيهما فإنِّي أنتقل لبقية كتب السنَّة مبتدِئاً ببقيَّة الستَّة ثم غيرها. وأما عن بيان درجة الحديث: فإن وجدت حكماً عليه لأحد من أهل هذا الشَّأن فإنِّي أعتمد عليه، وإن لم أجد فإنِّي أحكم – عندها– على ظاهر إسناده فيما يبدو لي، بعد دراسة رجاله واتصال سنده حسب القواعد المعروفة عند أهل الحديث.

خطة البحث: وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ضمنتها نتائج البحث.

المبحث الأول

تعريف التَّشدُّد وألفاظ ذات صلة

المطلب الأول: تعريف التَّشدُّد.

التَّشَدُّد: ضدُّ التَّخفيف واللِّين[1]، وأصل مادة (شَددَ) تَدلُّ على قوَّة الشَّيءِ وصلابته،وجميع معاني هذه المادّة تدور حول هذا الأصل[2]. فمن معانيها: التَّكلُّف في الفعل، والصعوبة[3] : تَشددت القَيْنَة، إذا تَكَلَّفَت برفع صوتها حتَّى أُجهدت، وذكر ابن سيده أنَّ من معاني الشِّدة: الصُّعُوبة، يقُال: اشتَد الزَّمَنُ عليهم، إذا صَعُبتْ أَحوالهم فيه. ويرى ابن رجب أنَّ التَّشدُّد يحصل عندما يحمِّل الإنسان نفسه من العبادات ما لا يتحمله إلا بمشقَّة شديدة[4]، أما الدهْلوي فقال: «حقيقة التَّشدُّد: اختيارُ عبادات شاقَّة، لم يأمر الشَّارع بها، كدوام الصِّيام والقيام والتَّبتُّل وترك التزوُّج، وأنْ يلتزم السُّنن والآداب كالتزام الواجبات»[5].

قلت: وهنا لا بد من بيان بعض الملاحظات بناء على استقراء أحاديث التَّشدُّد في السُّنة[6]:

1. إنَّ التَّشدُّدَ لا يقتصر على العبادات، بل ينطبق على كلِّ ما تكلَّفه الإنسان بما يصعب عليه فعله، ويترتَّب عليه مشقَّة تقطعه عنه.

---

(1) إسماعيل بن حمّاد الجوهري (توفي 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، 1990(ط4)، ج2، ص493 باب الدّال/ فصل الشّين.

علي بن إسماعيل بن سيده (توفي 458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000 (ط1)، ج7، ص605، مادة (ش، د، د).

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي 170هـ)، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي/ د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ص6، ص213، باب الشين والدال.

أحمد بن فارس (توفي 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1999 (ط2)، ج3، ص179، مادة (شدد).

(3) انظر: محمد بن أحمد الأزهري (توفي 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001 (ط1)، ج11، ص183، باب الشين والدّال. ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم** ج7، ص605، مادة(ش، د، د).

(4) كلام ابن رجب بيانٌ لمراد قوله ﷺ: «وَلَنْ يُشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ». البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب(28) الدّين يسر حديث رقم(39)، تحقيق: د. مصطفى البغا،بيروت، دار ابن كثير، 1987 (ط3).

انظر: عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب (توفي 795هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمود شعبان وآخرون، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، 1996 (ط1)، ج1، ص149.

(5) شاه وليُّ الله بن عبد الرحيم (توفي 1176هـ)، **حجّة الله البالغة**، تحقيق: السيد سابق، بيروت، دار الجيل،2005 (ط1)، ج1، ص211.

(6) انظر: ص8 هامش رقم5 حديث عبد الله بن عباس {، وص10 حديث أنس بن مالك>، وص11 حديث أبي جحيفة >، وص12 حديث سعد بن أبي وقاص>، وص13 حديث حذيفة بن اليمان>، وص14 حديث هلب الطَّائي> ، وص16 حديث جابر بن عبد الله }.

2. قول الدهلوي: «لم يأمر الشَّارع بها» غير دقيق، والصَّواب أن نقول: «على صورة لم يأمر الشَّارع بها»، إذ إنَّ قيام المرء بعبادة لم يأمر الشَّارع بها، يدخل تحت باب البدعة(7).
3. التَّشدُّد له صورتان وليس صورة واحدة، الأولى: تكلُّف فعل ما، كالمبالغة في الاستبراء من البول، والوصال في الصِّيام، وقيام جميع الليل، وانتقاء الحصى الكبيرة للرمي في الحجِّ. الثانية: ترك الحلال أو المباح تعبُّداً، كترك الزَّواج، وترك النَّوم على الفراش، وترك أكل بعض الطَّيبات، وترك الأخذ بالرُّخص عند الحاجة الضَّرورية إليها.
4. الدافع إلى التَّشدُّد في معظم الأحوال يكون بقصد التَّعبد والتَّقرب إلى الله .

وبناءً على هذا يمكن أن نُعرِّف التَّشدُّد بأَنَّه: «تكَلُّف أمرٍ ما، فعلاً أو تركاً، على صورة لم يأمر الشَّارع بها، بقصد التَّعبُّد والتَّقرُّب إلى الله»(8).

المطلب الثاني: تعريفات ذات صلة:

أولاً: التَّعمُّق، أصل مادة (عمق) يدلُّ على البُعْد، سواء كان إلى أسفل، فيُقال: بئر عميقة، إذا بَعُدَ قعرها، أو كان للنَّواحي والأَطراف، فيُقال: أعماق الأرض، أطرافها ونواحيها(9). والتَّعمُّق في الاصطلاح: المبالغة في الأمر، والتَّشدُّد فيه، بغية الوصول لأبعد غاية(10).

ثانياً: التَّنطُّع: أصل مادة (نطع) يدلُّ على بسط في شيءٍ وملاسة منه(11)، والنَّطَعُ: بساطٌ يُتَّخَذُ من الجِلد(12)، والمتنَطِّع: الذي يتكلَّف في الكلام، فيخرجه من أقصى حلقه تكبراً (13).

---

(7) إبراهيم بن موسى الشاطبي (توفي 790هـ) **الاعتصام**، اعتنى به وراجعه: هيثم طعيمي، محمد الفاضلي، بيروت، المكتبة العصرية، 2002م، ج1، ص30.

(8) قلت: هذا هو المفهوم الشَّرعيُّ للتَّشدُّد، أما ما يُنشر في بعض وسائل الإعلام من أنَّ التَّشدُّد هو مجرد الالتزام بالدِّين وتطبيق التَّكاليف المطلوبة فغير صواب، ولا بد من ضبطه حسب القواعد الشَّرعيَّة، فليتنبه إلى ذلك.

(9) الخليل الفراهيدي، **العين**، ج1، ص187 باب العين والقاف والميم. الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج1، ص191، باب العين والقاف والميم.

(10) انظر: المبارك بن محمد الجزري (توفي 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي/ محمود أحمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1979، ج3، ص299 مادة(عمق).

وأحمد بن علي بن حجر (توفي 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة (278/13).

ومحمود بن أحمد العيني (توفي855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد الله محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001 (ط1)، ج25، ص72

(11) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص440 مادة (نطع).

(12) انظر: الفراهيدي، **العين** ج2، ص16 باب العين والطّاء والنّون.

(13) الأزهري، **تهذيب اللغة** ج2، ص105 باب العين والطاء والنون.

والتَّنطُّع في الاصطلاح: المبالغة والتَّكلُّف في الأقوال والأفعال مما لم يأمر الشَّارع بذلك[14].

ثالثاً: الغلوُّ: الغلاء نقيض الرُّخص[15]، وأصل مادة (غلو) يدلُّ على ارتفاع الشَّيء ومجاوزة الحدِّ فيه[16]، وجميع معاني هذه المادة تدور حول هذا الأصل، يقُال: غلا السِّعر، إذا ارتفع عن حدود الثَّمن، وغلا بالسهم، إذا رفع يده يريد أقصى غاية، وتغالى النَّبات، إذا ارتفع وتمادى في الطُّول[17]. والغلوُّ في الاصطلاح كما عرفه الشَّاطبيُّ: «المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحدِّ فيه إلى حيِّز الإسراف»[18]، وبنحو هذا عرفه ابن حجر والعيني[19].

وبعد تعريف هذه الألفاظ والمقارنة فيما بينها، نَخْلُص إلى ما يلي:

1. هذه الألفاظ تعبِّر عن أوصافٍ لأحوالٍ مختلفة يكون عليها الإنسان، ومن غير الصَّواب أن نطلقها على حال واحدة.
2. غاية المتشدِّد الوصول إلى الأكمل في فعل الشَّيء أو تركه، ولأنَّ حركته غير مضبوطة بضوابط، فإنَّ هذا يدفعه إلى التَّعمُّق من أجل الوصول إلى نهاية الحدِّ، مما يؤدِّي به إلى أنْ يتنطَّع ويتكلَّف أفعالاً كثيرة غير مطالب بها، وتكون النَّتيجة في نهاية المطاف تجاوز الحدود والوصول إلى الغلوِّ.
3. ترتبط هذه الألفاظ ببعضها كترابط الحلقات في السِّلسلة الواحدة، فكلُّ واحدة منها توصل إلى الأخرى، بمعنى آخر أنَّ التَّشدُّد يمثِّل بداية الانحراف الذي يوصل في النِّهاية إلى الغلوِّ.

---

(14) انظر: حمد بن محمد الخطَّابي (توفي 388هـ)، **معالم السنن**، تصحيح: محمد راغب الطباخ، حلب، المطبعة العلمية، 1932(ط1)، ج4، ص300.

وعبد الرحمن بن علي الجوزي (توفي 597)، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، دار الوطن، 1997، ج1، ص321.

ويحيى بن شرف النووي (توفي 676هـ)، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ (ط2) ج16، ص220.

انظر: حديث عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني ص15.

(15) انظر: ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج6، ص57 مادة(غ ل و).

(16) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج4، ص387/ 388 مادة (غلو).

(17) الفراهيدي، **العين**، ج8، ص446 باب الغين واللام. والأزهري، **تهذيب اللغة** ج8، ص168 باب الغين واللام.

(18) إبراهيم بن موسى الشاطبي (توفي 790هـ)، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، بيروت، المكتبة العصرية، 2007، ج1، ص304 بتصرف.

(19) ابن حجر، **فتح الباري**، ج13، ص278. والعيني، **عمدة القاري** ج21، ص264.

المبحث الثَّاني

أسباب التَّشدُّد

التَّشدُّد آفة تطرأ على فكر الإنسان، فتؤثِّر في أفكاره وسلوكه، وهي تنشأ لأسباب داخليَّة كامنة في النَّفس البشريِّة، وتتمثَّل فيما يلي:

1. غياب الفهم الصحيح لنصوص الشَّريعة ومقاصدها، وهذا يجعل المتشدِّد يبني تصرفاته على فهمه الخاطئ لنصوص الشَّريعة، كحال الرهط الذين شددوا على أنفسهم في العبادة فقال أحدهم: أَما أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَر: أنا أَصُومُ الدهْرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوجُ أَبَداً، وقد برروا أفعالهم بالفهم الخاطئ، فقالوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ[20]، أي إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ليس بحاجة إلى كثير من الأعمال، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر، بخلاف غيره، إذ لا بُد أنْ يجتهد في العبادة حتَّى تُغفر له ذنوبه[21].
2. الاجتهاد الزَّائد في التَّقرُّب إلى الله المؤدِّي إلى التَّقصير في الحقوق التي يجب على المتشدِّد القيام بها، كحفظ النَّفس، والقيام على أمور الأهل وغيرها[22]، وقد اجتهد جماعة من الصَّحابة في عبادتهم لله حتَّى أخلَّ هذا ببعض الحقوق الواجبة عليهم كما في حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: آخَى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ وَبَيْنَ أبي الدرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدرْدَاءِ، فَرَأَى أُم الدرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فقال: مَا شَأْنُكِ مُتَبَذِّلَةً؟ قالت: إِنَّ أَخَاكَ أَبَا الدرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. قال: فَلَما جَاءَ أَبُو الدرْدَاءِ قَرب إِلَيْهِ طَعَامًا، فقال: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قال: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قال: فَأَكَلَ، فَلَما كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدرْدَاءِ لِيَقُومَ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: نَمْ فَنَامَ، ثُم ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ لَهُ: نَمْ فَنَامَ، فَلَما كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ قَالَ لَهُ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَقَامَا، فَصَلَّيَا، فقال: إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَيَا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَا ذلك، فقال له: «صَدَقَ سَلْمَانُ»[23].

---

(20) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب النّكاح، باب(1) الترغيب في النكاح حديث رقم(4776) واللفظ له، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، باب(1) استحباب النِّكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصَّوم حديث رقم(1401) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(21) ابن حجر، **فتح الباري لابن حجر** ج9، ص105 بتصرف.

(22) **انظر:** عز الدين بن عبد السلام **(توفي 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، تحقيق: د. نزيه حماد/ د. عثمان ضميرية، دمشق، دار القلم، 2010 (ط4)، ج2، ص340.

(23) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب(50) من أقسم على أخيه ليفطر في التّطوع حديث رقم(1867).

يقول ابن القيم: «وهذا مدخلٌ للشَّيطان على العبد إذا لم يتنبه له، فإنه يدخل له من باب الاجتهاد الزَّائد، فيسوِّل له بعدم كفاية الفعل، وأنه لا بُد من الزِّيادة ليسبق العاملين، ونحو ذلك من الإفراط والتَّعدي، فيحمله على المجاوزة، وتعدِّي الصِّراط المستقيم»[24].

3. البحث والاستقصاء عن التَّفصيلات الدقيقة التي سكت الشَّارع عنها، فتكون النَّتيجة أنْ يُشَدد على الجميع بالإيجاب أو التَّحريم[25]، لحديث سعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، رَجُلٌ سَأَلَ عن شَيْءٍ وَنَقَّرَ عنه، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِه»[26].

قال الخطّابيُّ: «هذا الوعيد في حقِّ من يسأل عبثاً وتكلُّفاً فيما لا حاجة به إليه، وهذا ما أدى إلى التَّشديد على بني إسرائيل في أمور كثيرة، فقد كانوا يبحثون ويستقصون عن دقائق الأمور وتفصيلاتها حتَّى صار التَّشديد سمةً عامة في دينهم، من ذلك قصَّتهم المشهورة في ذبح البقرة، أما من كان سؤاله استبانة لحكم واجب واستفادة لعلم قد خفي عليه فإنَّه لا يدخل في هذا الوعيد»[27].

4. الشُّكوك والوساوس التي تحيك في صدر الإنسان حول أمر ما، فهي تدفعه إلى محاولة التخلّص منها إما بفعل وإما بترك، أما صورة الفعل فتتمثَّل بالتَّشدد في الاستبراء من البول، كما كان يصنع أبو موسى الأشعري من بوله في قارورة توقِّياً من رذاذ البول، حتَّى أنكر عليه حذيفة رضي الله عنه صنيعه وقال: «لَوَدِدْتُ أَنَّ صَاحِبَكُمْ لَا يُشَدِّدُ هذا التَّشْدِيدَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أنا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كما يَقُومُ أحدكم فَبَالَ»[28]، قال النَّوويُّ: «مقصود حذيفة رضي الله عنه أنَّ هذا التَّشديد من أبي موسى خلاف السُّنة، فإنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بال قائماً، ولا شكَّ في كون القائم معرضاً للرشيش، ولم يلتفت النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى هذا الاحتمال، ولم يتكلَّف البول في قارورة كما فعل أبو موسى رضي الله عنه»[29].

---

(24) محمد بن أبي بكر بن أيوب (توفي 751)، **الوابل الصيِّب من الكلم الطّيب**، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985(ط1) ص26 بتصرف.

(25) انظر: **فتح الباري لابن حجر**(268/13).

(26) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة، باب(3) ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه... حديث رقم 6859، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب(37) توقيره ﷺ... حديث رقم 2358 واللفظ له.

(27) الخطابي، **معالم السنن، ج**4، ص301، 302 بتصرف.

(28) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطّهارة، باب(22) المسح على الخفين حديث رقم(273).

(29) النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج3، ص167 بتصرف.

أما صورة التَّرك فتتمثَّل بتحريم شيءٍ من الطَّيِّبات المباحة، لحديث هلب الطّائي رضي الله عنه قال:
سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عن طَعَامِ النَّصَارَى؟ فقال:«لا يَتَخَلَّجَنَّ فِي صَدْرِكَ طَعَامٌ ضَارَعْتَ فيه النَّصْرَانِيَّةَ»[30].
وفي كلا الحالتين يكون التَّشدُّدُ سِمةً واضحة في هذه التَّصرُّفات.

المبحث الثّالث

علاج التَّشدُّد

لما كان التَّشدُّد مرضاً خطيراً، وآفة عظيمة تحلُّ بالفرد والمجتمع، سعى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لمحاربته، والقضاء عليه، لحماية الأمة من آثاره المدمِّرة، وسلك النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في سبيل ذلك مسلكين:

المسلك الأول: الوقاية من التَّشدد، وقام في سبيل ذلك بما يلي: –
أولاً: التَّحذير من التَّشدُّد.
يعُد التَّحذير الخطوة الأولى للدلالة على خطر ما يجب الوقاية منه لتلافي آثاره وتداعياته، وكلَّما تعددت أساليب التَّحذير وتنوعت صوره، كان أكثر فاعليَّة، وأعطى نتائج أفضل، لذلك نوع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أساليب التَّحذير من التَّشدُّد وهي كما يلي: –

أ. أسلوب التِّكرار، وهو أنْ يتم ترديد عبارة ما أكثر من مرة للدلالة على أهميَّة أمر ما أو خطورته، ونلاحظ هذا جلياً في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبة التَّشدُّد أكثر من مرة فقال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا»[31]، وهذا مما يؤكِّد في نفس السامع خطورة الشَّيء المحذَّر منه، ويُرسِّخ في قلبه أهميَّة هذه النَّصيحة.

ب. الأسلوب الوصفيُّ، وهو أن يُوصَف المتشَدِّد بأوصاف تتركُ وقعاً شديداً على أذن السامع وقلبه، وترسم في مخيِّلته فظاعة الشَّيء المحذَّر منه، من ذلك:

(30) حديث حسن، **أخرجه أبو داود**، سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب(24) في كراهية التقذر للطعام حديث رقم(3784) بمثله، وفيه عن هلب أنَّ رجلاً سأل النّبي ﷺ.

(31) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب(4) هلك المتنطعون حديث رقم(2670).

* وصف المتشدِّد بأعظم المسلمين جُرماً، كما في حديث سعد بن أبي وقَّاص ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا رجلٌ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ ونقَّر عَنْهُ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِه»[32]، وسبب ذلك أنَّ نتيجة أسئلته عن تفاصيل الأمور تعدت لتشمل جميع المكلَّفين، فصار سبباً لتضييق الأمر عليهم[33].

* وصْف المتشدِّد بالعاصي لأمر الله ورسوله ﷺ، لأنَّه بتشدُّده يخالف هدي رسول الله ﷺ المأمور باتِّباعه، لحديث جابر بن عبد الله { حين أفطر رسول الله ﷺ يوم خرج لفتح مكَّة، فأُخبر أنَّ بعض النَّاس قد صام فقال: «أُولئِكَ العُصاةُ، أُولئِكَ العُصاةَ»[34].

* وصْف المتشدِّد بالضَّال، لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ولو تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نبيِّكُمْ لضلَلْتُم»[35]، لأنَّه بفعله يقضي أنَّ الاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ في العمل ليس هو الأفضل؛ بل لا بدُّ من الزِّيادة على هديه للوصول إلى الأكمل، وهذا خطأٌ عظيم جداً؛ فإنَّ الله تعالى قد أمر بمتابعته وحثَّ عليها، قال تعالى:(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (31:آل عمران).

ثانياً: بيان عواقب التشدد.

اهتم النَّبيُّ ﷺ بتحذير أمته من عواقب التَّشدُّد، وبيان آثاره الخطيرة، ونتائجه المدمرة التي يتركها على الفرد والمجتمع، سواء كانت مادية أو معنويَّة، ولكي يُؤتي هذا التَّحذير نتائجه، ويبقى حاضراً في الأذهان، ضرب مثالاً لذلك عَرَضُ فيه واقع أمم سابقة، عاشت تجربة التَّشدُّد، وذاقت ويلاته، ولا تزال آثارها شاهدة للعيان، ففي حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«لا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُم فَيُشددَ عَلَيْكُم، فَإِنَّ قَوْماً شَدَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَدَ الله عَلَيْهِم، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوامِعِ والدِّيَار: (ورهبانية ابتدعوها)(٢٧: الحديد)» [36].

وتتمثَّل عواقب التَّشدُّد في الصُّور الآتية: –

---

(32) صحيح، تقدّم تخريجه ص12.

(33) ابن حجر، **فتح الباري** ج13، ص268،269.

(34) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب(15) جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية... حديث رقم(1337).

(35) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب(44) صلاة الجماعة من سنن الهدى حديث رقم(654).

(36) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب(52) في الحسد حديث رقم(4904).

قال الهيثمي: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن أبي العميا وهو ثقة». علي بن أبي بكر الهيثمي(توفي 807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي،1994 ج6، ص256.

****قلت:** سعيد بن أبي العمياء وثّقه ابن حبّان، وله شاهد من حديث سهل بن حنيف بنحوه من دون زيادة(ورهبانية ابتدعوها)، وفيه عبد الله بن صالح الجهني، وهو صالح الحديث، فالحديث حسن.

انظر: محمد بن إسماعيل البخاري (توفي256هـ/869م)، **التاريخ الكبير**، تحقيق: هاشم الندوي، بيروت، دار الفكر، 1986، ج4، ص97، وابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل** ج5، ص86،87.

أ- على المستوى الجماعي:

1. اندثار الدعوات التي تتَّخذ من التَّشدُّد منهجاً لها، لافتقارها إلى مقوِّمات البقاء المتمثِّلة بتلبية حاجات الفطرة ومسايرة الواقع، وهذا لا تحتمله طبيعة البشر العاديَّة ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه عدد قليل، فإنَّ الغالبيَّة لا يمكنها الصُّمود والاحتمال، وحينئذ يكون الاضمحلال والاندثار، لقوله ﷺ: «هَلَكَ المتَنَطِّعون»(37).

2. زوال الأمم التي تسير في طريق التَّشدُّد لأنَّه يقف سدّاً منيعاً، وحاجزاً قوياً أمام التقدم الحضاري، فلا تلبث الأمة المتشدِّدة أن تتخلَّف عن ركب الحضارة، ثم لا تلبث أن يندرس ذكرها، وتندثر حضارتها وهذا ما قصده النبي ﷺ بقوله: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ في الدِّين»(38).

ب- على المستوى الفرديِّ:

1. الفتنة التي تصيب المتشدِّد من كفر أو نفاق أو بدعة لمخالفته هدي النَّبيِّ ﷺ، لقوله تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أَن تصيبهم فتنة أَو يصيبهم عذاب أَليم) [النور:63](39)، وهذا ما أصاب الخوارج الذين غالوا كثيراً، فانحرفوا عن النَّهج الصَّواب، وخرجوا عن دائرة الدِّين، كما في حديث أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في شأنهم: «يَمرقونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَمْرقُ السهْمُ من الرميَّة»(40).

2. التَّقصير في العمل أو الانقطاع عنه بشكل كامل، وذلك لأسباب أهمُّها:

الأول: طبيعة الإنسان المعروفة بالفتور والملل بعد النَّشاط، ذلك أنَّ الإنسان بطبيعته التي خلقه الله عليها يمرُّ بمراحل خلال قيامه بالعمل، إذ يكون في بادئ الأمر في قمة الهمة والنَّشاط إقبالاً على القيام بالأعمال، ثم لا يلبث أن تسكن حدته، وتفتر همته، فمن تعمق في الأعمال الدينيَّة وبالغ فيها من دون تدرُّج، فإنَّه سينقطعُ عنها لا محالة، وسيأخذ طريقاً آخر

---

(37) صحيح، تقدّم تخريجه ص15.

(38) إسناده صحيح، تقدم تخريجه ص8 هامش5.

(39) إسماعيل بن عمر بن كثير (توفي 774)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، الجيزة، مؤسسة قرطبة، 2000 (ط1)، ج10، ص281.

(40) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب(22) علامات النّبوة في الإسلام حديث رقم(3414)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزّكاة، باب(47) ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم(1064). =

= - يمرقون: يدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه من غير أن يستمسكوا منه بشيء. انظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج2، ص149 مادة(مرق).

****قلت:** عنى الإمام أحمد بذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب(95) ما جاء في قول الرجل ويلك حديث رقم(5811)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب(47) ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم(1064) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بنحوه.

على عكس الطَّريق الذي كان عليه، فينفر من الدِّين، ويغرق في بحار الذُّنوب والآثام[41]، لقوله ﷺ: «لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلى غَيْرِ ذَلكَ فَقَدْ هَلَكَ»[42].

الثَّاني: العجز عن الجمع بين الحقوق المتعلِّقة بالإنسان، سواء كانت شخصيَّة أو اجتماعيَّة أو غيرها، وبين ما تكلَّفه الإنسان من أعمال، لذا أرشد رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى التَّخفيف فيما تكلَّفه من الأعمال حتَّى يستطيع القيام بالحقوق المتعلِّقة به فقالﷺ: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»، فَكَانَ عبد اللَّهِ يقول بَعْدَ ما كَبِرَ:«يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّﷺ»[43].
يقول الشَّاطبيُّ:«فربما كان التوغُّل في بعض الأعمال شاغلاً عنها (الوظائف المتعلِّقة بالإنسان)، وقاطعاً بالمكلَّف دونها، وربما أراد الحمل للطَّرفين على المبالغة في الاستقصاء، فانقطع عنهما»[44].

الثالث: الضَّرر البدنيُّ الذي يلحق بالمتشدِّد، وذلك بسبب عدم تلبية حاجات النَّفس الضَّروريَّة، وبذلك يوقع نفسه في الحرج، و يكون هذا سبباً في إدخال الفساد على جسمه أو عقله أو حاله[45]، وهذا ما عناه النَّبيُّ ﷺ بقوله لعبد الله بن عمرو{: «إِنَّكَ لَتَصُومُ الدهْرَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، هَجَمَتْ لَهُ الْعَيْنُ، وَنَفِهَتْ لَهُ النَّفْسُ»[46].

المسلك الثاني: علاج التَّشدد إذا وقع.

يقوم علاج التَّشدُّد إذا وقع على ثلاثة أسس:

---

(41) **انظر:** محمد بن محمد الغزالي (توفي 505هـ)، **إحياء علوم الدين،** سماراغ، مكتبة كرياطة فوترا، ج4، ص77.

(42) أحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، ج2، ص210 حديث رقم(6958) من حديث عمرو بن العاص {.
قال الهيثمي: «رجال أحمد ثقات»، وللترمذي نحو هذا، وقال: «حسن صحيح غريب». الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص635 حديث رقم(2453)، والهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ج2، ص259.

- الشِّرة: الرغبة والنَّشاط. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج2، ص458، مادة(شرر).

(43) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، باب(54) حق الجسم في الصّوم حديث رقم(1874) واللفظ له، ومسلم، **صحيح مسلم**، في كتاب الصيام، باب(35) النَّهي عن صوم الدهر لمن تضرر بِه أو فوت بِه حقاً... حديث رقم(1159).

(44) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ج2، ص100.

(45) المصدر السابق.

(46) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصّوم، باب(58) صوم داودعليه السلام حديث رقم(1878) واللفظ له، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب(35) النَّهي عن صوم الدهر لمن تضرر بِه ... حديث رقم(1159).

- نفهت النّفس: أعيت وكلَّت. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والاثر** ج5، ص99 مادة(نفه).
- هجمت العين: غارت ودخلت في موضعها. المرجع السابق ج5، ص246 مادة(هجم).

1. تصحيح الفهم الذي يقوم عليه التَّشدد، وذلك من خلال ما يلي: –

أ. التَّوجيه إلى الاعتدال والتَّوسط في الأعمال، فإنَّ من شأنه أن يساعد على الديمومة والاستمرار على الأعمال من غير انقطاع، والإقبال عليها بهمة ونشاط، لحديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»[47]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «فسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وأبشروا»[48]، ومردُّ هذا التَّوجيه راجعٌ إلى الخشية من الانقطاع عن أعمال الدِّين لكثرتها، لحديث الْحَكَمِ بن حَزْنٍ الْكُلَفِيُّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَيُّهَا النَّاس، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا أو لَنْ تَفْعَلُوا كُلَّ ما أُمِرْتُمْ بِهِ وَلكِنْ سَدِّدوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»[49]، ولا يُفهم من هذا منعُ طلبِ الأكمل في العبادة فإنَّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراطِ المؤدِّي إلى المِلال، أو المبالغة في التَّطوُّع المفضي إلى ترك الأفضل[50].

ب. ترك البحث والاستقصاء عن التَّفصيلات الدقيقة التي سكت الشَّارع عنها لقوله تعالى: (يا أَيها ا الذين آمنوا لا تسألوا عن أَشياء إن تبد لكم تسؤكم [101:المائدة]، قال الطَّبريُّ: «نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسولَ الله ﷺالمسائلَ، كمسألة ابن حذافة إيَّاه مَن أبوه؟ ومسألة سائله إذ قال: «الله فَرَضَ عَلَيْكُم الحَجَّ»، أفي كلِّ عام؟ وما أشبه ذلك من المسائل[51]»، ولقولهﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ»[52]، قال القرطبي:

---

(47) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرّقاق، باب(18) القصد والمداومة على العمل حديث رقم(6098).

(48) صحيح، تقدم تخريجه ص4 هامش رقم 3.

(49) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الصّلاة، باب(230) الرجل يخطب على قوس حديث رقم(1096).

حسّن إسناده النووي، يحي بن شرف النووي، **خلاصة الأحكام في مهمّات السنن وقواعد الإسلام**، حسين إسماعيل الجمل، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997(ط1)، ج2، ص797.

(50) ابن حجر، **فتح الباري**، ج1، ص94.

(51) محمد بن جرير الطبري (توفي 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، 2001(ط1)، ج7، ص84. =

= **والحديث الأول:** أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب(28) الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره حديث رقم(92)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب(37) توقيره ﷺ حديث رقم(2359).

والثاني: أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب(73) فرض الحج مرّة في العمر حديث رقم(1337).

(52) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة، باب(2) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث رقم(5886)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب(73) فرض الحج مرّة في العمر حديث رقم(1337) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ.

«ونَهْيُ النَّبيِّ ﷺ أمته عن كثرة السُّؤال فيما لا حاجة لها به، خشيةً عليهم أن يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، لما أكثروا السُّؤال، كثر عليهم الجواب، فشددوا، فشدد الله عليهم»[53].

ت. التزام سنَّة النَّبيِّ ﷺ في شتَّى مناحي الحياة، وترك غيرها من السُّنن والطُّرق، التي تؤدِّي إلى التَّشديد على النَّفس بإثقالها في العبادة، وتحريم الطَّيبات التي أباحها الله، ولقد أخبر ﷺ أنَّ طريقته هي الحنيفيَّة السمحة التي توازن بين حاجات النَّفس الدُّنيوية ومتطلَّبات الآخرة، وهذا واضحٌ في قوله ﷺ حينما وجَّه الرهط السائلين عن عبادته: «لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[54].

ونلاحظ هنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ يلمِّح إلى طريق الرهبانية، التي ابتدعها النَّصارى فشددوا على أنفسهم فما استطاعوا الوفاء بما ألزموا به أنفسهم[55]، وكان يصرِّح في أحوال أخرى كما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ قوله:«إِنِّي لم أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلاَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ»[56]، فهو بذلك يخطُّ خطّاً واضحاً لأمته من بعده، أنَّ سبيل الأمان متمثِّل في إتِّباع سنَّته، وأنَّ أيَّ خروج عنها بمثابة انحراف يماثل انحراف الدِّيانات السابقة.

ث. الإرشاد إلى أنَّ التقرب إلى الله لا يقتصر على العبادات التي كُلِّف الإنسان القيام بها، بل إنَّ كلَّ عمل مباح يصبح بالنِّيَّة قربةً إلى الله يُؤْجر عليها فاعلها، وهذا ما جاءت به جملة من الأحاديث الصَّحيحة منها قول النَّبيِّ ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص: « وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بها وَجْهَ اللَّهِ إلا أُجِرْتَ بها، حتى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا في في

(53) أحمد بن عمر القرطبي (توفي 656هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم**، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرون، بيروت، دار ابن كثير، 1996(ط1)، ج3، ص448 بتصرف.

(54) تقدّم تخريجه هامش4، ص4.

(55) ابن حجر، **فتح الباري** ج9، ص105.

(56) أحمد، **مسند أحمد بن حنبل**، ج5، ص266 حديث رقم(22345) من حديث أبي أمامة ﷺ.

ضعّف إسناده ابن رجب والعراقي، وسبب ضعف الإسناد علي بن يزيد الألهاني كما ذكر الهيثمي.

انظر: ابن رجب، **فتح الباري** ج1، ص136. وعبد الرحيم بن الحسين العراقي (توفي806هـ)، **المغني عن حمل الأسفار**، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الرياض، مكتبة طبرية، 1995(ط1)، ج2، ص1060، والهيثمي، **مجمع الزوائد** ج5، ص279.

****قلت:** لكن معنى قوله ﷺ: « بعثت بالحنيفيَّة السمحة» صحيح، دلَّ على ذلك قوله تعالى : چ ھ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ چ. وقوله ﷺ: « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ» ومقتضى اليسر السماحة والسُّهولة. والحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب(28) الدين يسر... حديث رقم(39).

امْرَأَتِكَ»[57]، وحديث أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَفِي بِضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَة» [58]. قال النووي: «إنَّ المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة ويُثاب عليه»[59].

2. الإرشاد إلى منهج يساعد على دوام الأعمال والثَّبات عليها.

نظراً لطاقة الإنسان المحدودة، وقدراته النَّاقصة عن الإحاطة بجميع أعمال الدِّين والقيام بها، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يرشد إلى الوسائل التي تعين على الثَّبات على الأعمال والمداومة عليها وهي كما يلي:

أ. اختيار الأوقات التي يكون فيها الإنسان بكامل القوة والنَّشاط، حتَّى يستطيع أن يقوم بالأعمال المطلوبة منه على أتمِّ وجه، دون أن تلحق به مشقَّة، أو يحصل له نفور، وهذا ما عناه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «ليُصلِّ أَحَدكمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»[60]، من أجل ذلك يرشدنا النَّبيُّ ﷺ إلى هذه الأوقات فيقول: «وَاسْتَعِينُوا بِالغُدْوة وَالروْحَة، وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَة»[61]، يقول ابن رجب:«هذه الأوقات الثَّلاثة أوقات العمل والسير إلى الله، فمن دام على سيره فيها مع الاقتصاد وصل، ومن لم يقتصد بل بالغ واجتهد، فربما انقطع في الطَّريق ولم يبلغ»[62].

ب. التَّنويع في الأعمال: إنَّ مما فطر الله عليه النَّفس البشريَّة، محبتها للتَّنويع والتَّغيير، وهذا يجعلها تتلقَّى الشَّيء الجديد بشوق ومحبة، أما إذا ألفت أمراً واحداً ملَّته، واستثقلت عمله، لذا كان من الضَّروريِّ أنْ يكون الإنسان حكيماً في معاملته لنفسه، فلا يقهرها على عمل واحد، بل ينتقل بها من عمل إلى آخر بحسب كلِّ وقت، لِتغْزُر بالانتقال لذَّتُها، وتَعْظُمَ باللَّذة رغبتها، وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها،[63]يقول النبيﷺ: « واستعينوا بالغُدْوة والروْحَة، وشيءٍ من الدُّلْجَة» [64].

---

(57) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب(35) رثى النبي ﷺ سعد بن خولة حديث رقم(1233)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الوصية، باب(1) الوصية بالثلث حديث رقم(1628) واللفظ له.

(58) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب(16) بيان أنّ اسم الصدقة يطلق على كل نوع من المعروف حديث رقم(1006).

(59) النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**(77/11).

(60) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التّهجد، باب(18) ما يُكره من التّشديد في العبادة حديث رقم(1099)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب(31) أمر من نعس في صلاته... حديث رقم(784) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(61) صحيح، تقدم تخريجه ص4 هامش رقم 3. =

= – الغُدْوة: الوقت المبكّر، ويكون ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ج3، ص346 مادة(غدا).

– الرواح: الوقت المتأخر، ويكون من بعد زوال الشمس حتى مغيب الشمس. المرجع السابق ج2، ص273، مادة(روح).

– الدلجة: السير في أي وقت من الليل.المرجع السابق ج2، ص129، مادة(دلج).

(62) ابن رجب، فتح الباري ج1، ص139 بتصرف يسير.

(63) انظر: الغزالي،**إحياء علوم الدّين** ج1، ص330.

(64) صحيح، تقدم تخريجه ص4 هامش رقم 3.

قال ابن المنير: «وقد فسر الأعمال في الحديث بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدُّلجة، وكنَّى بهذه الفعلات عن الأعمال في هذه الأوقات»[65].

ت. اختيار الأعمال التي يمكن الدوام عليها دون مشقَّة أو ضرر، لقوله ﷺ: «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ»[66]، وهنا أشار النَّبيُّ ﷺ إلى أمر هامٍّ يغفل عنه الكثير وهو الفروق الفرديَّة بين النَّاس، ونعني بذلك تفاوت النَّاس فيما بينهم في الطَّاقات والقدرات التي منحهم الله إيَّاها، ويترتَّب على هذا أنَّ هناك أعمالاً يقوم بها أناس يعجز آخرون عن القيام بها. ومن هنا تأتي أهميَّة معرفة الإنسان لحدود طاقاته وقدراته، فهذا يمكِّنه من اختيار الأعمال التي يستطيع المداومة عليها دونما ملل أو مشقَّة تلحق به، فتكون النَّفس أنشط، والقلب أكثر انشراحاً، فتتمُّ العبادة على أحسن وجه، وينال بذلك الأجر الذي بشَّر به رسول الله ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ «فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»[67]، وهذا بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يفوق طاقاته وقدراته، فإنَّه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم[68].

ث. التَّرويح عن النَّفس بالمباحات، ذلك أنَّ النَّفس البشريَّة ملول، وهي عن الحقِّ نفور، لأنَّه على خلاف طبعها، فلو كُلِّفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت، وإذا رُوِّحت باللَّذات في بعض الأوقات قويت ونشطت[69]، لذا كان من الأهميَّة أَنْ يخصِّص الإنسان لنفسه من الوقت ما يريح به نفسه حتَّى تتقوى على العبادة وتنشط لها.

3. معاقبة المتشددين.

بعد أن خطا النَّبيُّ ﷺ الخطوتين السابقتين في علاج التَّشدُّد، نجد أنَّه يسلك سبيلاً ثالثاً لا يقلُّ أهميَّة عن المسلكين السابقين، ألا وهو العقاب لمن لم يمتثل لأمره بترك التَّشدُّد والابتعاد عنه، وهذا الذي عناه عبد الله بن مسعود > في قوله: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَد عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[70].

---

(65) أحمد بن محمد الاسكندري (توفي 683هـ)، **المتواري على أبواب البخاري**، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الكويت، مكتبة المعلا، 1987، ص50.

(66) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصيام، باب(51) صوم شعبان حديث رقم(1869)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب(34) صيام النبي ﷺ في غير رمضان حديث رقم(782).

(67) صحيح، تقدم تخريجه ص4 هامش رقم 3.

(68) النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج6، ص71 بتصرف.

(69) الغزالي، **إحياء علوم الدين** ج2، ص30.

(70) الدارمي، **سنن الدارمي**، باب(19) من هاب الفتيا وكره التَّنطّع والتَّبدُّع حديث رقم(138).
قال الهيثمي:«رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات». **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ج10، ص251.

ولقد كان رسول الله ﷺ مربِّياً حكيماً، وطبيباً حاذقاً، يُقدِّر العقوبة بحسب ما تقتضيه حالة التَّشدُّد وما يترتَّب عليها من أضرار، واستخدم نوعين من العقاب:

* العقاب النفسي: وله عدة صور، منها الغضب، وكان أكثر ما يستعمله ليزجر المتكلِّفين في أسئلتهم له، كما في حديث أبي موسى ﷺ قال: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَما أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ،.....، فَلَما رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: يَا رَسُول اللهِ إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[71].

وَمن صور العقاب النَّفسيِّ أيضاً استخدام عبارات فيها زجر، كقوله للمرأة التي تقوم الليل ولا تنام: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَال»[72].

* العقاب البدنيُّ: ومن صوره مواصلة الصِّيام بمن امتنع عن الإفطار كما في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُم يَوْمًا، ثُم رَأَوُا الْهِلاَلَ فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا»[73].

قال ابن العربي في معرض الاستدلال على حرمة الوصال: «وتمكينهم من الوصال تنكيل لهم، وما كان على طريق العقوبة لا يكون من الشَّريعة»[74].

الخاتمة، وأهم النتائج:

1. التَّشدُّد هو تكلُّف القيام بأمر ما، فعلاً أو تركاً، على صورة لم يأمر الشَّارع بها بقصد التَّعبُّد والتَّقرب إلى الله.
2. يمثِّل التَّشدُّد نقطة التَّحوُّل التي تقود إلى الانحراف عن النَّهج الصَّحيح الذي خطَّه لنا رسول الله ﷺ، مما يوقع المتشدِّد في الضَّلال، وقد يؤدِّي أحياناً إلى خروجه من دائرة الدِّين.
3. التَّشدُّد ظاهرة قديمة مرتبطة بأسباب عدة، وقد أولى الإسلام عناية كبيرة في معالجتها.

**** قلت:** إسناده ضعيف، لانقطاعه، عبد الرحمن بن عبد الله لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود هذا الحديث كما ذكر أهل العلم. انظر: أحمد بن علي بن حجر، **تعريف التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**، تحقيق: د. عاصم القريوتي، عمان، مكتبة المنار، 1983(ط1) ج40.

(71) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، باب(48) الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره حديث رقم(92) ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل باب(37) توقيره ﷺ... حديث رقم (2360).

(72) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب(31) أحبُّ الدين إلى الله أدومه حديث رقم(43)، ومسلم، صحيح **مسلم**، كتاب الفضائل باب(37) توقيره ﷺ... حديث رقم (2360).

(73) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصّوم، باب(48) التنكيل لمن أكثر الوصال حديث رقم(1864) ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب(11) النهي عن الوصال في الصيام حديث رقم(1103).

(74) محمد بن عبد الله الإشبيلي (توفي 543هـ)، **عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي**، بيروت، دار الكتب العلمية، ج3، ص**307، 308** بتصرف.

4. يستغلُّ الشَّيطان الرغبات الداخلية في النَّفس الإنسانية لحرفها عن الطريق الصحيح إذ لم يكن صاحبها متنبهاً لذلك.
5. عواقب التَّشدُّد لا تقتصر على الأفراد، بل تمتدُّ إلى الأمم والشُّعوب فتهلكها، وتدمِّر حضاراتها.
6. التزام هدي النَّبيِّ ﷺ أنجع طريقة لمواجهة التَّشدُّد وعلاجه والقضاء عليه.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعدات المبارك بن محمد الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر** (5 أجزاء). تحقيق: ظاهر الزاوي ومحمد الطناحي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أحمد، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: **المسند**. القاهرة: دار قرطبة.

الأزهري: أبو منصور أحمد بن محمد، **تهذيب اللغة**. (45 جزءا). تحقيق: محمد عوض مرعب. الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل: **التاريخ الكبير**. (9 أجزاء). طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعين خان. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**.(6 أجزاء) تحقيق: د. مصطفى البغا. الطبعة الثالثة، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة.1993م/1414هـ .

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي: **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**. (45 جزءاً). تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله. الطبعة الأولى، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 2009م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: **الجامع الكبير**. (6 أجزاء) تحقيق: بشار عوّاد. الطبعة الأولى. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1998 م

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (6 أجزاء) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.الطبعة الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين. 1407 هـ - 1987 م

ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، **الجرح والتعديل**. (9 أجزاء). الطبعة الأولى. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1271هـ- 1952م

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد. **الثقات**. (9 أجزاء) تحقيق: شرف الدين أحمد. الطبعة الأولى. الهند. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. 1393هـ - 1973م

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**.(43 جزءاً) تحقيق: عبد العزيز بن باز، بيروت: دار المعرفة.

الخطابي، أَبو سليمان حمد بن محمد البستي: **معالم السنن وهو شرح سنن الإمام أبي داود**. (4 أجزاء) طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ. الطبعة الأولى، حلب: المطبعة العلمية. 1351هـ - 1932م

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: **سنن أبي داود**. (5 أَجزاء) إعداد وتعليق: عزت الدّعاس وعادل السّيد. الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حَزم. 1418 هـ/ 1997 م.

الدّهلوي، شاه ولي الله بن عبد الرحيم، **حجة الله البالغة**. (2 جزء) تحقيق: سيد سابق. الطبعة الأولى . بيروت: دار الجيل. 1426 هـ/ 2005م.

ابن رجب، ابو الفرج عبد الرحمن بن شَّهاب الدين، **فَتح الباري شرح صحيح البخاري**. (6 أَجزاء).تحقيق: طارق بن عوض بن محمد. الطبعة الثانية. الدّمام: دار ابن الجوزي. 1417هـ - 1996م.

ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل المرسي: **المحكم والمحيط العظم**. (44 جزءاً). تحقيق: د.عبد الحميد هَّنداوي. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ - 2000م.

الشاطبي، أَبو اسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، **الاعتصام.**(4 أَجزاء) اعتنى به وراجعه: هيثم طعيمي محمد الفاضلي. بيروت: المكتبة العصريَّة. 2001 م.

الشاطبي: أَبو اسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، **الموافقات في أصول الشريعة**، (2جزء). تَّحقيق:محمد عبد القادر الفاضلي. بيروت. المكتبة العصرية. 2007 م.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (30 جزءا). بيروت: دار الفكر. 1405 هـ.

عبد الرزاق، أَبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. **المصنف**. (44 جزءا) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي. 1403هـ.

ابن العربي، أَبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي: **عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي** (14 جزءًا) بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ - 1997م.

العيني، بدر الدين أَبو محمد محمود بن أَحمد: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. (15 جزءاً). ضبطه وصححه: عبد الله عمر. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ/ 2001م.

الغزالي، محمد بن محمد الغزالي: **إحياء علوم الدين**. (1 جزء) أَندونيسيا. مكتبة ومطبعة كرياطة فوت سماراغ.

ابن فارس، أَبو الحسين أَحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**. (6 أَجزاء). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل. 1399هـ - 1979م

الفراهيدي: أَبو عبد الرحمن الخليل بن أَحمد، **العين**. (8 أَجزاء). تَّحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

القرطبي، أَبو العباس أَحمد بن عمر بن إبراهيم: **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**. (7 أَجزاء) تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون. الطبعة الأولى، دمشق بيروت: دار ابن كَثير ودار الكلم الطيب- . 1417هـ - 1996م.

ابن قيِّم الجوزية، محمد بن أَبي بكر بن أَيوب: **الوابل الصّيب من الكلم الطيب**. (4 أَجزاء) تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربي 1999م.

ابن كثير، أَبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**. (45 جزءا) تحقيق: علي أَحمد عبد الباقي وآخرون. الطبعة الأولى. القاهرة: مؤسسة قَّرطبة. 2000م- 1421م.

ابن ماجه، أَبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني: **سنن ابن ماجه**. (6 أَجزاء) تحقيق: بشار معروف، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل. 1418هـ -1998م.

مسلم، أَبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صَّحيح مسلم**. (5 أَجزاء). تَّحقيق: محمد فَّؤاد عبد الباقي. بيروت: دار احياء التراث العربي.

ابن المنير، ناصر الدين احمد بن محمد: **المتواري على أبواب البخاري**. (4 أَجزاء) تحقيق: صلاح الدين مقبول أَحمد. الكويت: مكتبة المعلا. 1407هـ-1987م.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف: **خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الأحكام**. (1 جزء.) حققه وخرّج أَحاديثه: حسين الجمل. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف: **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. (9 أَجزاء) الطبعة الثانية: بيروت: دار إحياء التراث العربي 1392هـ.

Yabi, S., Basir, A., Mamat, A., & Niteh, M. Y. (2017). طرق تلقي الحديث عند الصحابة في حياته صلى الله عليه وسلم (Methods of Sahaba in Receiving the Hadith from Prophet Muhammad). Journal Of Hadith Studies, 2(1).

الهيثمي، نور الدين علي بن أَبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. (10 أجزاء) بيروت: دار الكتاب العربي 1414 هـ- 1994 م